

السيرة و تدوينها

سعادة الدكتور ابراهيم القطان

سفير المملكة الاردنية الهاشمية، اسلام آباد

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد

رسول الله وخاتم النبيين، وعلى آله وصحبه :

(١) سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم يراد بها التعرف على حياته الا ولى من ولادته الى سببته، ثم حياته بعد ذلك حتى بعث للناس بالدين الحق، وامر ان يدعو الناس كافة اليه، وما لقي في سبيل الدعوة من معارضة، وما جرى بينه وبين المعارضين من مقاولات و حروب، و من استجاب له حتى ظهر الاسلام و كمل الدين .

والحرب التي جرت بينه و بين مخالفيه هي المعروفه بالغزوات والسرايا، و يغلب اسم المغازى على ذلك كله .

والمغازى و السير من العلوم الجليله، فيها يعرف تواريخ احداث المسلمين فى عهدهم الاول، و يوقف على احوالهم، و فيها صورة واضحة عن البيئه التى نشأ فيها الاسلام وترعرع قبل الهجرة فى مكه، و بعد الهجره فى المدينه حتى استوى، و فيها بيان لاسباب نزول كثير من آيات القرآن الكريم، و من ثم يعرض كتاب السير التفسير ما نزل من القرآن فيما يتعلق بتلك الاحداث التى يعرضونها .

وسما يدل على اهمية السيرة و وجوب العناية بهذا العلم ما رواه ابن خلكان ان ابا يوسف القاضي صاحب ابي حنيفة رضى الله عنهما كان قد ترك مجلس ابي حنيفة فترة من الزمن و حضر ليستمع الى المغازى من ابن اسحاق او غيره، وغاب اياها عن مجلس ابي حنيفة، فلما علم الامام بذلك اخذ يعاتبه على ان ترك مجلس الفقه الى مجلس الاخبار لانها برأى ابي حنيفة لاخيرفيها، و قال لابي يوسف يتهمكم به : من كان صاحب راية جالوت ؟

فقال ابويوسف : انك امام وان لم تمسك عن هذا سألتك على رؤوس الاشهاد اياها كان اولاً اوقعة بدر ام وقعة احد ؟ فانك لا تدري ايها كان قبل الاخرفأسك عنه وأقره على ما اختار .

ولم يدون احد من الصحابة شيئاً من السيره، اذ كانوا مشغولين بالجهاد و الفتوح و كانوا يخشون ايضاً اذا دونوا شيئاً من الحديث او الاخبار ان يختلط بالقرآن و هم حريصون كل الحرص على سلامة القرآن الكريم، والمحافظة على نصه كما انزل .

وانما التفت الى تدوين السيره فريق من التابعين، فكانوا يجمعون الاخبار بأن يسألوا من شاهد الغزوات من الصحابة الكرام، و من صاحب الاحداث التي وقعت للمسلمين في عهد النبي الكريم عليه الصلاة والسلام، و يجمعون ما استفاض من الاخبار دون ان يتحروا السند لها، ولا ان ينقلوا عن افراد معينين، و لذلك تفارق السيره والاخبار في هذا الوضع الحديث عن الرسول صلوات الله عليه، لان الحديث الصحيح يجب ان يكون مروياً بسند قوى ستين متصل لا يسقط فيه احد من رجاله، بخلاف السيره فان الراوى قد يكون من التابعين و يروى اشياء

من اخبار الرسول، او عن حياته مباشرة بدون ان يسند اقواله الى صحابي ممن شهد تلك الاخبار .

(٢) و قد بدأ الناس فى تدوين السيرة فى اواخر القرن الاول من الهجره و القرن الثانى، و كان من اقدم الذين اشتغلوا فى جمع السيره محمد بن شهاب الزهرى احد كبار حفاظ الحديث، وهو احد الائمة الاعلام، و عالم الحجاز والشام فى عصره، و كانت سيرته تروى عنه، و ينقل عنها السهيلي فى الروض الانف، و كان عمر بن عبدالعزيز يقول من اراد العلم فعليه بابن شهاب، توفى سية ١٢٤ هـ .

و جاء بعده محمد بن اسحاق بن يسار المطلبى المدنى . فاهتم بجمع المغازى والسير ايما اهتمام و ساعده قدرة حفظه و تفرغه لهذا الشأن، و رغبة فى فن الاخبار والتاريخ حتى اشتهر بالاماسة فى هذا الفن، و قد اثنى عليه العلماء قال ابن حيان : لم يكن احد بالمدينه يقارب ابن اسحاق فى علمه او يوازيه فى جمعه، وهو من احسن الناس سياقاً للاخبار .

و قال الشافعى : من اراد ان يتبحر فى المغازى فهو عيال على محمد بن اسحاق، و قد طاف فى البلاد العربيه فزار الاسكندريه، و سكن بغداد و توفى فيها سنة ٥١١ هـ (٧٦٨ م) . و كان الاسام مالك ينكر عليه جمعه الاخبار من اى كان دون تمحيص و تدقيق فى الرواه و من يأخذ عنهم .

و جاء بعده ابن هشام، وهو عبدالملك بن هشام الحميرى المعافى، ولد و نشأ فى البصره، و تلقى العلم فيها، و برع فى الادب و اللغة، و الا نساب و الاخبار و رحل الى مصر بعد ان اكتمل علمه فى البصره و استقر بها حتى صار عالم مصر فى اللغة و الشعر، و اجتمع بالامام الشافعى فبهره علمه و اطلعه على اللغة و الادب

والانساب والخبار، و كان يقول ما اظن ان الله يخلق مثل الشافعي، و توفي ابن هشام بمصر سنة ٥٢١٣ هـ .

و بالمناسبة الذين اشتهروا بابن هشام اربعة : عبدالملك بن هشام هذا المؤرخ، و محمد بن احمد بن هشام اللخمي الاندلسي ، نحوي و عبد الملك بن يوسف بن هشام العالم النحوي المشهور، و احمد بن عبدالرحمن بن هشام نحوي ايضا .

(٣) السيرة : سيرة ابن اسحاق لم تطبع، وهي الاصل لكل من كتب و الف في هذا الموضوع و يوجد منها نسخة مخطوطة كاملة في ستة اجزاء بمكتبة جامعة القرويين بفاس ، مكتوبة بخط جميل واضح رأيتها بنفسى .

و هذه السيرة هي الام كما قلت وهي سيرة جليلة جاسعة فيها طائفة من اخبار العرب قبل الاسلام . و بسط للحالة بعد الاسلام في حياة الرسول عليه الصلاة والسلام . وهي سجل حافل لما جرى في ذلك العهد من المعاهدات، و لما جرى في المغازى بالتفصيل، فيذكر في الغزوة من شهدنا من الجانبين، و ما حدث لهم بتفصيل دقيق، كأنما كان هناك كتاب حريون يدونون كل شىء و فيها ثروة ادبية من الاشعار التي قيلت في الغزوات وغيرها من الاحداث، و ابن اسحاق يكثر من الاشعار في كل موطن، حتى اورد فيها كثيرا من الشعر المنحول والموضوع . و حتى قال فيه ابن سلام في طبقات الشعراء : ”وكان ممن افسد الشعر وهجته، و حمل كل غثاء منه محمد بن اسحاق بن يسار . . . فقبل الناس عنه الاشعار، و كان يقول لا علم لى بالشعر، و انما أوتى به فاحمله، ولم يكن ذلك له عذراء، .

وقد نبه ابن هشام على ما ينكر من الشعر الوارد في سيرة ابن اسحاق، وقد روى السيرة عن ابن اسحاق خلق كثير، ولكن اشتهر اثنان من رواة السيرة من دون كل الرواة وهما: يونس بن بكير الشيباني ابو بكر كان من حفاظ الحديث و من المؤرخين من اهل الكوفة عرفه الذهبي والياقعي بصاحب المغازي، و روايته كاملة لم يحذف منها شيئا . و فيها اشياء لم تأت في سيرة ابن هشام . توفي سنة ١٩٩ هـ .

و الآخر زياد بن عبد الله بن طفيل العامري البكائي ابو محمد و عن زياد هذا روى السيرة عبد المك ابن هشام و رتبها و هذبها حتى نسبت اليه توفي سنة ١٨٣ هـ .

روى ابن هشام سيرة ابن اسحاق فاعجبه و لكنه رأى فيها أشياء انكرها فهدبها و حذف الأشياء التي انكرها ، و نشرها على الناس في صورة جديدة ، و قد بين لنا منهج عمله فيها بقوله ” و انا ان شاء الله مبتدئ هذا الكتاب بذكر اسماعيل بن ابراهيم ، و من ولد رسول الله صلى الله عليه و سلم من ولده ، و اولادهم لأصلابهم ، الاول فالاول من اسماعيل الى رسول الله ، وما يعرض من احاديثهم ، و تارك ذكر غيرهم من ولد اسماعيل ، على هذه الجهة : للاختصار الى حديث سيرة رسول الله ، و تارك بعض ما ذكره ابن اسحاق في هذا الكتاب ، بما ليس لرسول الله صلى الله عليه و سلم فيه ذكر ، ولا نزل فيه من القرآن شيء ، و ليس سببا لشيء من هذا الكتاب ولا تفسيراً له ولا شاهداً عليه ، لما ذكرت من الاختصار ، و اشعاراً ذكرها لم أر احداً من اهل العلم بالشعر يعرفها ، و اشياء بعضها يشنع الحديث به ، و بعض يسوء بعض الناس ذكره و بعض لم يقرنا البكائي بروايته ، و ستنقص ان شاء الله ما سوى ذلك منه بمبلغ الرواية

له و العلم به،،.

وقد زاد ابن هشام بعض اشياء على ما رواه ابن اسحاق ، فقد روى قصة ملك الحضرمين خلال بن قره ، و ذكر ان النضر هو قريش ، و يروى حرب الفجار عن ابي عبيده ، و يروى اشياء عن البكائي عن مسعر بن كدام لا عن ابن اسحاق ، و يذكر قصة داحس و الغبراء و يرويها عن ابي عبيده.

ثم يفسر ما يرد في الشعر وغيره مما يورده ابن اسحاق او يورده هو من القريب. فمن الشعر الذي أورده ابن اسحاق قول الشاعر.

يبكين شخصا طويل الباع ذا فجر آبي الهزيمة فراج الجليلات
فيقول ابن هشام : الفجر : القطاء ، و يورد بعض الشواهد على ذلك :

و يقول ذكر ابن اسحاق فيما رواه عن سلمان الفارسي : ”فلما سمعتها اخذتني العرواء،، فقال ابن هشام : ”و العرواء الرعدة من البرد والانتقاض.
فان كان مع ذلك عرق فهي الرحضاء،،.

و يفسر قول امية ابن ابي الصلت :

فوق شيزى مثل الجوابى عليها قطع الوديل في نقي فوم

الوديل : قطع الفضة ، و الشيزى : شجر تتخذ منه القصاع والجفان ، و اراد هنا القصاع فيها الطعام و جعلها لسعتها كالجوابى اى الحياض ، و اراد بالقطيع قطع السنام جعلها بيضاء كالفضه ، و القوم الحنطة .

واحيانا يصلح اخطاء لابن اسحاق يقول : قال ابن اسحاق : ثم اسلم زيد بن حارثة بن شرحبيل فقال ابن هشام : زيد بن حارثة بن شرحبيل . و قال فى الروض اصحاب النسب كما قال ابن هشام و ذكر ابن اسحاق فيمن قتل بيدر

من المشركين السائب بن ابي السائب. فقال ابن هشام: "ان السائب بن ابي السائب شريك رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي جاء في الحديث عن رسول الله: نعم الشريك السائب لا يشارى ولا يمارى، وكان اسلم فحسن اسلامه فيما بلغنا،،".

و يذكر ابن اسحاق من المناققين: ثعلبة بن حاطب، و معتب بن قشير، فيقول ابن هشام: "معتب ابن قشير و ثعلبة و الحارث ابن حاطب وهم من بنى امية بن زيد، من اهل بدر، وليسوا من المناققين فيما ذكر لي من ائق به من اهل العلم.

و قال ابن اسحاق "والتمس لرسول الله صلى الله عليه وسلم الرضعاء، فقال ابن هشام (المراضع) و في كتاب الله تبارك و تعالى قصة موسى عليه الصلاة و السلام(وحرصنا عليه المراضع) و قد يتعقب ابن هشام ابن اسحاق في رواية الشعر و يسند ذلك الى العلماء بالشعر والرواية كابي عبيده و خلف الاحمر و ابي زيد الانصاري و غيرهم...".

و يورد ابن اسحاق شعرا لابي بكر رضى الله عنه اوله:
 أمن طيف سلمى بالبطح الدمائم ارقت و امر في العشيرة حادث
 و يقول ابن هشام: "واكثر اهل العلم بالشعر ينكر هذه القصيدة لابي بكر. وكذلك ينسب ابن اسحاق ابياتا لعلي بن ابي طالب رضى الله عنه في يوم احد، و يقول ابن هشام: "قالها رجل من المسلمين يوم احد غير علي، فيما ذكر لي بعض اهل العلم بالشعر،،".

و هكذا نجد ابن هشام ينتقح و يهذب في السيرة و يسقط ما يراه غير صحيح،

ولا يليق ذكره. و يصحح بعض الاخطاء ، فهو يبتدىء بذكر شىء من قول ابن اسحاق ، و يصدره بعبارة قال ابن اسحاق ،، و يعقب عليه بما يراه من زيادة او نقد او تصحيح الى آخر الكتاب.

٤) و قد ابتدأ السيرة بسرد نسب الرسول الكريم ، واستتبع ذلك بذكر جملة صالحه من انساب العرب واخبارهم فى الجاهلية ، و عاداتهم ، واصناسهم ، و ذكر تجديد حفر بئر زمزم على يد عبدالمطلب ، و ولادة الرسول عليه الصلاة والسلام ، و نشأته و سبته ، و من استجاب لدعوته ، وما لقيه فى سبيلها من عنت وارهاق ، وما لاقى المؤمنون من اذى ، و هجرة بعضهم الى الحبشة فراراً بدينهم ، و عرض الرسول الكريم نفسه على القبائل يدعوهم الى الاسلام ، حتى استجاب له فريق من الاوس والخزرج فى يثرب فما جر اليها من استطاع من المؤمنين من اهل مكة ، وصارت المدينة دار عز للاسلام و مبتدأ قرار للمسلمين .

و فى المدينة المنورة كانت بين الرسول الكريم و بين اليهود الذين كانوا فيها و بجوارها مفاوضات ، و مناقشات ، و معاهدات تقضوها و لم يبقوا محافظين عليها ، فكانت دائرة الغدر عليهم ، و انتهى الامر باجلائهم عن المدينة ، و الانتصار عليهم فى خيبر واذلالهم .

و من المدينة انطلق المسلمون و بدأت الغزوات و السرايا التى عزبها المسلمون ، و ذل الشرك بفتح مكة فى السنة الثالثة للهجرة ، و بهذا الفتح المبين دخل الناس فى دين الله افواجا ، و وفدت الوفود من كل حدب و صوب الى المدينة معلنين اسلامهم ، و طالبين من يفقههم فى الدين . و ذلك فى السنة التاسعة ، و لهذا سميت تلك السنة بسنة الوفود ، و يرسل الرسول عليه الصلاة و السلام رسله الى الملوك و الامراء يدعوهم الى الاسلام .

و ينتهى الكتاب بذكر ازواجه عليه الصلاة والسلام، و تحريضه و انتقاله الى الرفيق الاعلى ، و ذكر ماجرى فى سقيفة بنى ساعده من الخلاف الذى انتهى بخلافة ابي بكر رضى الله عنه .

هذه صورة مجملة للكتاب، وقد بقى هو المصدر الرئيسى لكل من كتب فى السيرة النبوية وقد كتب و علق عليها علماء كثيرون، و اوسع شرح كتب عليها (الروض الانف) للعلامة ابي القاسم عبدالرحمن السهيلي الاندلسى المتوفى سنة ٥٨١هـ، وقد طبع اكثر من مرة .

و شرح غريبها ، و تكلم على بعض المشكل منها اندلسى آخر هو ابو ذر الخشنى مصعب بن محمد توفى سنة ٥٦٠هـ . و طبع فى مصر سنة ١٣٢٩هـ .

و نظم السيرة ابو نصر الخضراوى، و عبدالعزيز بن احمد المعروف بسعد الدين الديرىتى، و ابو اسحاق الانصارى التلمسانى على قافية اللام، و فتح الدين محمد بن ابراهيم المعروف بابن الشهيد فى بضعة عشرالف بيت و سماه فتح القريب فى سيرة الحبيب .

و اختصر السيرة البرهان ابراهيم بن محمد بن المرغل، و زاد عليها اسورا و سماه الذخيره فى مختصر السيره . و قد طبعت سيرة ابن هشام عدة مرات . . .

و كتب اناس كثيرون فى السيرة النبويه، منهم ابن سيد الناس، و الحلبي و ابن حجر الهيثمى و صاحب المواهب، و شرحه .

(٥) و قد كتب فى السيرة عدد من المعاصرين فى عصرنا الحاضر، و احسن من كتب فيها المرحوم محمد حسين هيكل فى كتابه "محمد"، عليه الصلاة والسلام، فانه كتاب جليل استوفى فيه السيره النبويه باسلوب واضح، و بترتيب جيد، ثم

انبرى لشبه المستشرقين المتعصبين، و للمبشرين ففندها بالحجج و البراهين، و كشف للناس من حقيقة هؤلاء المستشرقين المغترين، و كيف يكتبون، قسم منهم يكتب ورائده التعصب والدس حسب هواه وحقده، وقسم منهم يجهل حتى البديهي من اللغة العربية والوقائع و حقائق الاسور، وهو مع ذلك يغالط و يمارى فيما يكتب و يبدى و يعيد .

و قد أتى كتاب المرحوم هيكل على احسن مايرام من الاسلوب، و قد حفزه على تأليف هذا الكتاب كما يقول حادث اهتزت له البلاد ذلك ان نشاط المبشرين بالمسيحية ظهر فجأه في ثوب مخيف، و تناقلت الصحف يومئذ ان الجامعة الامريكه بالقاهره هي مصدر هذه الدعايات التبشيرية و ان بها اركان الحرب التي تنظم هذه الحرب ضد الاسلام، و كان غريبا حقا هذا النشاط الذى ابداه المبشرون، و الذى لم يسمع بمثله من عشرات السنين، فقد امتد هذا النشاط من القاهره الى بور سعيد والى غيرها من المدن والاقاليم، و قد تحدثت الصحف عن وسائل الاغراء التي يلجأ اليها المبشرون لحمل البسطاء السذج على اعتناق المسيحية، ولتنصير الاطفال والابرياء من ابناء المسلمين الفقراء . . .

و لقد كنت من اشد الناس تحمسا لمقاومة هذا التبشير اقتناعا سنى بأن هذه الحركة يقصد بها اضعاف ما فى النفوس من ثقة بدين الدوله، و لما تنطوى عليه من قصد سياسى هو اضعاف معنويات الشعب باضعاف عقيدته، و ان لم يبلغ هذا الاضعاف حد ارتداده عن دينه الى دين آخر، هذا الى اننى رأيت فى هذه الحركة مقاومة لما او من به من حرية الرأى، فاغراء الناس بالوسائل الماديه لحملهم على تغيير مذهبهم او رأيتهم هو محاربة دينهم لهذه الحريه، وهو استغلال للضعف الانسانى كاستغلال المرايى حاجه سدينه ليقرضه بالربا الفاحش، والتبشير فضلا عن

هذا مناف لقواعد الخلق، مادام يتم في الظلام، ولا يصارح القائم به الناس برأيه لينا قشوه هذا الرأي، وليبينوا ما فيه من زيف وفساد .

كان من اثر هذه الحركة التبشيرية و موقفي منها ان دفعتي للتفكير في مقاومتها بالطريقة المثلى التي يجب ان تقاوم بها، ورأيت ان هذه الطريقة المثلى توجب على ان ابحت حياة صاحب الرسالة الاسلاميه صلى الله عليه وسلم، سباده بحثا علميا، و ان اعرضه على الناس عرضا يشترك في تقديره المسلم وغير المسلم وهكذا فكر هيكل في هذا و اطال التفكير كما يقول، و هداه التفكير آخر الامر الى دراسة حياة محمد صاحب الرسالة الاسلاميه عليه الصلاة و السلام، و هدف مطاعن النصرانية من ناحيه، و وجود الحاقدين من المسلمين من الناحيه الاخرى، على ان تكون دراسة علمية على الطريقة الحديثة، خالصه لوجه الحق، ولوجه الحق وحده، يتصدى بها للمشبرين ولمن تسول لهم انفسهم الطعن في هذا الدين القويم .

فالحمية للحق هي التي حملته على كتابة "حياة محمد"، عليه الصلاة والسلام، و الحق الذي يبتغيه مواطن من الجلال والجمال في الدعوة الاسلاميه، و في حياة الرسول تجذبه اليها، فما كان اعظمه صلى الله عليه وسلم في تحننه، وما كان اعظمه في دعوته لقومه الى الهدى، و في صبره على اذاهم . و في تأديبه للمسلمين بادب القوة على الحياة، وما كان اعظمه في هجرته و في غزواته، و في عفوه و حلمه، و في تقواه و عدله، نعم ما كان اعظمه في كل صفاته، و في كل اعماله لكن هذه العظمة التي لا تدانيها عظمة تصبح امرا انسانيا اذا ذكر الوحي، و ذكر اتصاله بربه وما رأى من آياته الكبرى، هنا يبلغ السمو الى حيث لا تدرك الا نساياه منه بعض المدى ولا يسع الانسان الا ان يكرر قوله تعالى :

”والنجم اذا هوى، ما ضل صاحبكم وما غوى، وما ينطق عن الهوى، ان هو الا وحى يوحى، علمه شديد القوى، ذومرة فاستوى، وهو بالا فق الاعلى، ثم دنا فتدلى، فكان قاب قوسين او ادنى . فاوحى الى عبده ما اوحى . ما كذب الفؤاد ما رأى، اقتمارونه على ما يرى ، ولقد رآه نزلة أخرى، عند سدره المنتهى، عندها جنة الماوى . اذ يغشى السدرة ما يغشى، ما زاغ البصر وما طغى، لقد رأى من آيات ربه الكبرى،، صدق الله العظيم .

و العلم ما يزال الى اليوم على كل ما وصل اليه من اختراعات و اكتشافات و تقدم ما يزال محدود الافق قاصرا دون تفسير الكثير مما يقع عليه الحس .

فكيف يفهم المبشرون المتعصبون هذا الكلام العالى، و كيف يستطيعون اليه سبيلا، وقد ملأ الحقد قلوبهم، و التعصب يعشش فى رؤوسهم ،وقد تجردوا من كل انواع العدل والانصاف، هيئات ان يفهموا ذلك او يكونوا قريبين من ذلك . .

و يبدأ هيكل بتقديم كتابه العظيم بقوله ”محمد عليه الصلاة والسلام، بهذا الاسم الكريم تنطق ملايين الشفاه، وله تهتز ملايين القلوب كل يوم مرات، وهذه الشفاه و القلوب به تنطق وله تهتز منذ اربعمائة و الف سنة الا خمسين، وبهذا الاسم ستنطق ملايين الشفاه و له تهتز ملايين القلوب الى يوم الدين .

ثم يبدأ فى بيان الثورة التى انتشر بها الاسلام وادت الى تكوين الاسبراطورية الاسلاميه الاولى التى خفقت عليها اعلام الاسلام فما انحسر عنها الى يومنا هذا .

و يستهل كتابه بالبحث فى مهد الحضارة الاولى التى اشرفت الدنيا بنور

الرسالات السماوية ثم ما كان من نشأة النصرانية و انتشارها وانقسامها الى فرق متناحرة ، حتى كان الجدل بين اتباع عيسى جدل ايام الانحلال فى كل امة و عصر. وهو ما اصاب المجوسية فى فارس حيث انقسمت فرقا و طوائف، و بين هاتين القوتين قوة النصرانية فى الغرب، وقوة المجوس فى الشرق .

ظلت شبه الجزيرة و كأنها واحة حصينة آسنة من الغزو الا فى بعض اطرافها، آسنة من انتشار الدعوة الدينية نصرانية او مجوسية او غيرها الا فى قليل من قبائلها، و بقى غالبية العرب على وثنياتهم، و كانت لهم فى عبادة الاوثان افانين شتى، و يصور ذلك كله باحسن تصوير .

و يمضى هيكل مع احداث السيرة النبويه فى ابراز صورة هذا المجتمع الاسلامى الناشئ و تطوره الى الكمال بختام الرسالة ، فسيرة الرسول الكريم هى سيرة هذا المجتمع الاسلامى الناشئ الذى تطور على يد خلفائه الكرام لتكون منه امة الاسلام، و لتكون هذه الدولة الاسلاميه الكبرى التى هزت اركان اعظم اسباطوريتين شهدهما العالم حينذاك.

ثم اخذ يفند مزاعم المستشرقين و يرد على شبههم فى قصة الغرائق ، و قصة زواج النبى عليه الصلاة و السلام من زينب بنت جحش ، و قصة الاسراء و المعراج ، و غير ذلك من الشبه التى تمسك بها اولئك المبشرون المغرضون. و يرد على المبشرين فيما يقولون من ان النصرانيه تنكر القتال على اطلاقه ، و يروى فى تاريخ النصرانيه سلسلة من الحروب ، خضبت الارض جميعا بالدماء باسم السيد المسيح ”فهل كان البابوات خلفاء المسيح و هم يباركون الجيوش الزاحفه للاستيلاء على بيت المقدس هراطقه ، و كانت نصرانيتهم زائفة ؟ ام كانوا

ادعاء جهلاء لا يعرفون ان المسيحيه تنكر القتال على اطلاقه ؟ فاذا كانوا يحتجون بان العصور الوسطى عصور الظلام فقد وقف النبي سمثل الحلفاء ، انجلترا و فرنسا و ايطاليا و رومانيا و امريكا يقول في بيت المقدس سنة ١٩١٨ ، اليوم انتهت الحروب الصليبية . و ان الحروب الصليبية لم تنته بعد ، فانها ممثلة بالصهيونية و من يؤازرها من القوى الغاشمة .

و الاسلام ليس دين و هم و خيال ، ولا هو دين يقف عند دعوة الفرد وحده الى الكمال ، انما الاسلام دين الفطرة التي فطر الناس جميعا عليها ، و هو دين الحق والحرية و النظام ، وما دامت الحرب في فطرة الناس ، فتهذيب فكرتها في النفوس و حصرها في ادق الحدود الانسانية هو غاية ما تحتمل فطرة البشر وما يحقق للانسانية اتصال تطورها في سبيل الخير و الكمال ، و خير تهذيب لفكرة الحرب ان لا تكون الا للدفاع عن النفس و عن العقيدة و عن حرية الرأي والدعوة اليه ، وان تراعى فيها الحرسات الانسانية تمام الرعايه ، و هذا ما قرره الاسلام على ما رأينا وما سنرى من بعد ، و هذا ما نزل به القرآن ، وضعناه و سنضعه تحت نظر القارىء في الاحوال والمناسبات التي نزل فيها .

ثم يكمل حديثه عن غزوات النبي عليه الصلاة والسلام ، و تشريعه وبعاهداته ، و بقية سيره مع الناس ، و سيرته الطاهره في ارقى اسلوب ، واحسن تعبير ، و اوضح بيان .

و مع هذا كله لا يرى هيكل انه اوفى على الغاية من البحث فيختم بحثه بقوله (و غاية ما ارجو ان اكون قد وقفت لما قصدت اليه من هذا البحث ، وان اكون قد سهدت به السبيل الى سباحث في موضوعه اكثر استفاضة و عمقا ، ولقد بذلت من الجهد في ذلك ما وسعته طاقتي وما يسره الله) .

هذه كلمة موجزة عن السيرة النبوية، واهم ما كتب منها، واني لارجو من المسلمين عامة ان يهتموا بها الاهتمام اللائق بها، و يتخذونها نبراسالهم، يقتدون بصاحب الرسالة عليه الصلاة والسلام، و يقتفون اثره و تعاليمه القيمة، ينشئون الناس عليها، حتى يستعيدوا مجدهم، و يشاركوا في بناء الحضارة الانسانية كما كان لهم دوركبير، و نصيب عظيم في السابق. والله من وراء القصد.

